شرح الأربعين النووية

الحديث السادس

إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ

اللقاء التاسع

الحديث السادس

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بِشِيْر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ: "إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ"رواه البخاري ومسلم

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير بن سعد، الأمير العالم، صاحب رسول الله -ﷺ- وابن صاحبه، أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي، ابن أخت عبد الله بن رواحة، وهو أول مولود للأنصار بالمدينة المنورة بعد مقدَم النبي -ﷺ- إليها، كما أن عبد الله بن الزبير أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، فهما مولودان في عام واحد، فأتت به أمه "أخت عبد الله بن رواحة" تحمله إلى النبي -ﷺ- فبشرها بأنه سيعيش حميدًا ويُقتل شهيدًا ويدخل الجنة.

له مائة وأربعة عشر حديثًا، مات الرسول -ﷺ- وله من العمر آنذاك ثماني سنوات وسبعة أشهر، وهذا يقتضي صحة تحمل الصبي؛ فإنه تحمل الحديث وهو صغير، ورواه بعد بلوغه، ولي إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص.

كلمات قالها النعمان بن البشير:

عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه.

ومن كلام النعمان بن بشير رضي الله عنه قوله: إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمان البلاء.

إن النعمان لما دعا أهل حمص إلى بيعة ابن الزبير ذبحوه، وقيل: قتل بقرية بيرين، قتله خالد بن خلي بعد وقعة مرج راهط في آخر سنة أربع وستين رضي الله عنه.

منزلة الحديث:

قال الكرماني رحمه الله: أجمع العلماء على عِظَمِ موقع هذا الحديث، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث: "الأعمال بالنية"، وحديث: "مِن حُسن إسلام المرء: تركه ما لا يعنيه"، وقال أبو داود السجستاني: يدور على أربعة أحاديث؛ هذه الثلاثة، وحديث: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة.

قال الجرداني رحمه الله: هذا الحديث قد أجمع العلماء على كثرة فوائده، ومن أمعن فيه وجده حاويًا لعلوم الشريعة؛ إذ هو مشتمل على الحث على فعل الحلال، واجتناب الحرام، والإمساك عن الشبهات، والاحتياط للدِّين والعِرض، وعدم تعاطي الأمور الموجبة لسوء الظن والوقوع في المحذور، وتعظيم القلب والسعي فيما يصلحه، وغير ذلك.

الشرح:

قوله: إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ:

في هذا الحديث تقسيم للأحكام إلى ثلاثة أقسام:

1- حلال بيّن كلٌّ يعرفه: واضح لا يخفى حله، كالثمر، والبر، واللباس غير المحرم وأشياء ليس لها حصر.

2- حرامٌ بيّن كلٌّ يعرفه: ظاهر غير خفي، كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر وما أشبه ذلك.

❸- مشتبه لا يعرف هل هو حلال أو حرام؟ أي: غير واضحات الحِل والحرمة، والمراد أنها تشتبه على بعض الناس دون بعض.

❁لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ: يعني هذه المشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ويعلمهن كثير، فكثير لا يعلم وكثير يعلم، ولم يقل: لا يعلمهن أكثر الناس، فلو قال: لا يعلمهن أكثر الناس لصار الذين يعلمون قليلاً.

❁إذاً فقوله لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ: إما لقلة علمهم، وإما لقلة فهمهم، وإما لتقصيرهم في المعرفة.

📂مثال المشتبه: شرب الدخان كان من المشتبه في أول ظهوره، لكن تبين الآن بعد تقدم الطب، وبعد أن درس الناس حال هذا الدخان قطعاً بأنه حرام، ولا إشكال عندنا في ذلك، وعلى هذا فالدخان عند أول ظهوره كان من الأمور المشتبهة ولم يكن من الأمور البينة، ثم تحقق تحريمه والمنع منه.

📁أسباب الاشتباه أربعة:

❶- قلة العلم: فقلة العلم توجب الاشتباه، لأن واسع العلم يعرف أشياء لا يعرفها الآخرون.

❷- قلة الفهم: أي ضعف الفهم، وذلك بأن يكون صاحب علمٍ واسعٍ كثير، ولكنه لا يفهم، فهذا تشتبه عليه الأمور.

❸-التقصير في التدبر: بأن لا يتعب نفسه في التدبر والبحث ومعرفة المعاني بحجة عدم لزوم ذلك.

❹- سوء القصد: وهو أعظمها: بأن لا يقصد الإنسان إلا نصر قوله فقط بقطع النظر عن كونه صواباً أو خطأً، فمن هذه نيته فإنه يحرم الوصول إلى العلم، نسأل الله العافية، لأنه يقصد من العلم اتباع الهوى.

📂وهذا الاشتباه لا يكون على جميع الناس بدليلين:

الأول: من النص وهو قوله -ﷺ-: لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ يعني كثيراً يعلمهن.

والثاني: من المعنى فلو كانت النصوص مشتبهة على جميع الناس، لم يكن القرآن بياناً ولبقي شيء من الشريعة مجهولاً، وهذا متعذر وممتنع.

ومن حكمة الله عزّ وجل في ذكر المشتبهات حتى يتبين من كان حريصاً على طلب العلم ومن ليس بحريص.

والله سبحانه وتعالى من حكمته ورحمته أنه عز وجل أمر العلماء بالاجتهاد في حكم الأشياء غير المنصوص عليها في القرآن والسنة، وذلك لأن حاجات الناس كثيرة، تتولد عندهم أمور كثيرة، فالقرآن والسنة فيهما أصول المسائل والقواعد التي تُبنى عليها الأحكام، ثم إن الله تعالى أمر العلماء بأن يبينوا للناس أحكام الأشياء المتولدة والجديدة، فيدخلوا هذا تحت هذا الأصل، ويستدلوا بهذا الدليل على حكم هذا الشيء الجديد من قياس واجتهاد، ونحو ذلك.

والحكم تبع للعلم والناس في هذا ثلاثة أصناف:

1- فقسم لا يتورع عن الوقوع في الشبهات أبداً.

2- وقسم يتورع عن الوقوع في الشبهات.

3 وقسم علم الحكم فهو يبني على علمه، وهذا أفضل الأقسام.

ومن هنا يأتي فضل العلم، ومكانة العلماء؛ (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: 18] وقال الله تعالى:(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر:28]

كلما كان هناك علم بالله، وبشرع الله والانكباب على فهم الكتاب والسنة، والسعي لنيل رضا الله، يرزق الله هذا الطالب للحق الفرقان، فينور بصيرته، ويهديه للحق وإن أختلط على غيره.

لأن كثيراً من الشبهات التي عند الناس عند أهل العلم بينة هل هي حلال أو حرام، ولا شك أن الذي يتبين له الأمر أفضل من الذي لا يتبين له الأمر، لكن الذي لا يتبين له، فيتورع لا شك أنه خير، وأقرب إلى الله ممن لا يتورع.

فَمَن اِتَّقَى الشُّبُهَاتِ: أي تجنبها.

فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ: أي أخذ البراءة.

لِدِيْنِهِ: فيما بينه وبين الله تعالى.

وَعِرْضِهِ: فيما بينه وبين الناس، لأن الأمور المشتبهة إذا ارتكبها الإنسان صار عرضة للناس يتكلمون في عرضه بقولهم: هذا رجل يفعل كذا ويفعل كذا، وكذلك فيما بينه وبين الله تعالى.

قال بعض السلف: من عرَّض نفسه للتهم؛ فلا يلومن إلا نفسه.

"إن النبي -ﷺ- لَمّا مَرّ به رجُلان، فسَلّما عليه، ثم أسرعا، ومع النبي -ﷺ-أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فقال النبي -ﷺ-: على رِسْلِكما! إنها صفية بنت حيي فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يَقْذِف في قلوبكما سُوءا، أو قال شيئا". رواه البخاري ومسلم

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: وَفِيهِ التَّحَرُّزُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسُوءِ الظَّنِّ، وَالاحْتِفَاظُ مِنْ كَيَدِ الشَّيْطَان والاعتذار.

وهذا المثال أريد أن أظهر به فقه العلماء الربانين الذين يحمون أنفسهم ويحمون الناس من الآثام، وليس هذا من المتشابهات، بل من باب خوف المؤمن على قلب أخيه المؤمن من الاثم:

وخرج التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد النخعي رحمه الله بصحبة تلميذه سليمان بن مهران ، وكان التابعي رحمه الله أعور العين بينما كان تلميذه سليمان أعمش أي ضعيف البصر ، وسار الاثنين معًا في أحد طرقات الكوفة وهم في طريقهم للجامع ، وبينما هما سائران قال التابعي الجليل : يا سليمان : لما لا تأخذ طريقًا للجامع وأخذ أنا غيره ؟وتابع: "فأنا أخشى إن مررنا معًا من أمام بعض السفهاء ، أن يقولوا أعمش ويقوده أعور ، فقال سليمان بن مهران للإمام النخعي : يا أبا عمران وما عليك في أن نؤجر على ذلك وهم يأثمون ، فقال الإمام الجليل : يا سبحان الله بل نسلم ويسلمون خير من أن نؤجر ويأثمون ، لا بد نحب الخير للأخرين ونجنبهم ما يسوءهم حتى لو قسى العبد على نفسه ".

وصدق الحكماء عندما قالوا: رحم الله امرئ كفّ الغيبة عن نفسه.

والفائدة: أنه من أتى شيئًا يظنه الناس شبهة وهو يعلم أنه حلال، فلا حرج عليه من الله في ذلك، ولكن إذا خشي من طعن الناس فيه بسبب ذلك كان تركه حينئذٍ حسنًا؛ استبراءً لعرضه، وقال بعض السلف: من عرض نفسه للتهم، فلا يلومن من أساء به الظن.

وَمَنْ وَقَعَ فَي الشُّبُهَاتِ: أي فعلها وَقَعَ في الحَرَامِ هذا الجملة تحتمل معنيين:

الأول: أن ممارسة المشتبهات حرام.

الثاني: أنه ذريعة إلى الوقوع في المحرم، وبالنظر في المثال الذي ضربه صلى الله عليه وسلم يتضح لنا أي المعنيين أصح.

والورع: هو اجتناب الشّبهات خوفا من الوقوع في المحرّمات.

أن يتجنب المشتبهات التي ما يدري هي حلال أو حرام، يخشى على دينه، فإذا وقع فيها فهو كالراعي الذي يرعى حول الحمى، يعني: يقسو قلبه، ويضعف ورعه، حتى يقع في المحارم بسبب وقوعه في المشتبهات، كالذي يحوم حول الحمى، يغفل أو ينام فترتع الإبل أو الغنم في زروع الناس؛ لأنه حول الحمى.

لأنه إذا كان يرتكب الشبهات، ويقع فيها باستمرار؛ فإنه سيتدرج به الأمر، ويتسامح، ويؤدي به الأمر في النهاية إلى الوقوع في الحرام؛ لأن الذي لا يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً –وهو ترك الشبهات– سيقع في الحرام يوماً من الأيام، سيقع في الحرام، لأن الشبهة عند الله حكمها واحد إما حلال وإما حرام، الحق عند الله واحد، ليس هناك شيء عند الله حلال وحرام في نفس الوقت، عند الله المسألة حكمها واحد إما حلال وإما حرام، علمها من علمها، وجهلها من جهلها من الناس– فالذي يقع في الشبهات احتمال أنه يقع في حلال عند الله، واحتمال أنه يقع في حرام، فلو كانت حراماً عند الله فالذي وقع في الشبهات يكون قد وقع في الحرام إذن، فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام. صالح المنجد حفظه الله.

الذي يقع في الشبهات سيتدرج به الأمر ويتساهل؛ لأن الحاجز النفسي ضد الشبهات قد زال؛ لأنه يرتكب الشبهات، إذن الآن هو على وشك الوقوع في الحرام، بل إن أكثر الذين لا يتورعون عن الشبهات هم في الحقيقة عند النظر يتساهلون في الحرام المحض المعلوم حرمته في الكتاب والسنة، فمن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم واقع ما استبان له في النهاية، والمثال المضروب

كَالرَّاعِي: أي راعي الإبل أو البقر أو الغنم.

يَرْعَى حَوْلَ الِحمَى: أي حول المكان المحمي، المحظور على غير مالكه، والراعي حول هذه القطعة.

يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ: أي يقرب أن يقع فيه، لأن البهائم إذا رأت هذه الأرض المحمية مخضرة مملوءة من العشب فسوف تدخل هذه القطعة المحمية، ويصعب منعها، كذلك المشتبهات إذا حام حولها العبد فإنه يصعب عليه أن يمنع نفسه عنها.

ومن حسن تعليم النبي –ﷺ– ضرب الأمثال المحسوسة لتتبين بها المعاني المعقولة، وهذا هو طريقة القرآن الكريم، قال الله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)

[العنكبوت:43]

فمن حسن التعليم أن المعلم يقرب الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة، لقوله:" كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ"

وبهذا المثال يقرب أن معنى قوله "مَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ" أي أوشك أن يقع في الحرام، لأن المثال يوضح المعنى.

يدل على ذلك هذا المثل الذي ضربه ﷺ، فقال: كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، فالذي يترك المستحبات هو سيترك واجباً يوماً من الدهر، والذي يفعل المكروهات سيفعل المحرمات يوماً من الدهر ذلك لأن النفس تسول له، وتجره شيئاً فشيئاً، فإذا تورعت عن الشبهات جعلت حاجزاً بينك وبين الحرام.

وكان السلف رحمهم الله يتوقون الشبهات، يُطبقون الحديث، والنبي ﷺ على رأسهم، قال ﷺ: "إِنّي لأنقَلِبُ إلى أَهلي فأجدُ التَّمرةَ ساقطةً على فِراشي فلا أدري أمِن تمرِ الصَّدقةِ أم مِن تمرِ أَهلي فَلا آكلُها" صحيح متفق عليه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءه غلامه بطعام أكل منه، فقال له الغلام: هل تعلم من أين هذا الطعام؟ هذا طعام تكهنت لواحد في الجاهلية وأنا لا أحسن الكهانة، فخدعته، وأعطاني مالاً، فاشتريت به طعاماً، فهذا هو، فوضع أبو بكر أصبعه في فيه، فقاء كل ما في بطنه رضي الله عنه، رضي الله عنه قاء كل ما في بطنه.

قال الحسن رحمه الله: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

وقال ميمون بن مهران: لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، حاجزاً من الحلال بينه وبين الحرام.

وقاعدة شرعية وهي سد الذرائع، أي أن كل ذريعة توصل إلى محرم يجب أن تغلق لئلا يقع في المحرّم، ومن ذلك قول الله تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 108]، فنهى عن سبّ آلهة المشركين لأنها ذريعة إلى سبّ الله تعالى، مع أن سبّ آلهة المشركين سبٌّ بحق، وسب الله تعالى عدوٌ بغير علم.

ألم تر أن الشريعة أمرت المرأة إذا أراد أن يباشرها زوجها وهي حائض أن تأتزر –أن تربط على نفسها شيئاً من جهة العورة– ثم يباشرها زوجها، ولا حرج عليه من وراء الثوب، تأتزر حتى لا يتساهلا، فيقع المحرم، وهو غشيانها وهي حائض.

وسؤال الرجال عن الساعات المطلية بالذهب، والأقلام والنظارات المطلية بالذهب، يقولون: هذا ليس ذهب، هذا غطاء رقيق جداً من الطلاء الكهربائي، طبقة رقيقة جداً.

قال –ﷺ–: " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ" صحيح الترمذي

تحريم الاختلاط وشبهة المحللين لها، فكل من حلل اختلاط الرجال بالناس، حلل مقدمات الزنا التي لا تنتهي بخير إلا إذا سلم الله.

عندما خلق الله بني آدم ركَّبَ فيهم الشهوة التي تجعل كُلاًّ من الرجل والمرأة يميل إلى الآخر بمقتضى جبِلَّتِه

عن أبي سعيد الخدري عن النبي –ﷺ–قال: "إن الدُّنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلِفُكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدُّنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"؛ رواه مسلم

فمن أعظم ما يأتي الشيطان بني آدم من باب الشَّهوة المحرَّمة؛ فعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – عن النبي –ﷺ– قال: "ما تركتُ بعدي فتنة أضَرَّ على الرِّجال من النساء"؛ رواه البخاري

إن الزنا فاحشة عظيمة مفاسدها أعظم المفاسد، والوقوع فيها وقوع في حدود الله ليس بالأمر السهل، لذلك الله جعل بينه وبين الحرام أسوار شاهقة، لا يصل لهذا الحرام إلا إذا هدمها، ومن هذه الاسوار منع الاختلاط لأن النار إذا جاورت البنزين تشعل مهما أخذنا من أسباب الامن والسلامة، وكذلك أمر الشارع بغض البصر، وعدم التبرج وإظهار الزينة المثيرة للشهوات، وتجنب الخضوع بالقول، وعدم خروج المرأة بدون محرم ...

وفي قصة بلعام بن بعوراء مع موسى عليه السلام عندما ذهب ليحارب الجبابرة في بيت المقدس ، ولم يفلح باعوراء بالدعاء على نبي الله موسى ومن معه ، لكن أعطاهم وسيلة كي ينتصروا على نبي الله ، بين لهم حيلة سيستخدمونها ليهلكوا بني إسرائيل، فقال لهم: جمّلوا نساءكم واتركوهن بين معسكر بني إسرائيل وأوصوهن أن لا يمنعن أحدًا من الزنى بهنّ فإن زنى واحد منهم بواحدة منكم كفيتموهم وطافت نساؤهم بين عساكر بني إسرائيل فمرت امرأة تسمى "كستى بنت صور" من أجمل

النساء على زمزي بن شلهوم من عظماء بني إسرائيل فاقتادها، فرآه نبي الله موسى عليه السلام فقال هي حرام عليك لا تقربها، فلم ينته، وأدخلها قبته وضاجعها ، حينها غضب الله عليهم وأرسل الله الطاعون على قوم نبي الله موسى، و كان صحاح بن عيراد صاحب أمره غائبا فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل وكان ذا قوة وبطش فقصد الخيمة التي فيها زمري فرآه مضاجع المرأة فطعنها بحربة بيده فقتله، وقال اللهم هذا فعلنا بمن عصاك فأرنا فعلك في عدونا واكشف عنا ما ابتلينا به بسببه، فرفع الله عنهم الطاعون، وقد بلغ من مات من حين ضاجعها إلى زمن قتلهما سبعين ألفا من بني إسرائيل.

📝شبهة تحليل المعازف فهي شبهة باطلة داحضة باتفاق المدارس الأربعة، إن المعازف قد صح في النهي عن سماعها عدة أحاديث، وتوالت فيها المصنفات، واتفق جماهير أهل العلم على حرمة سماعها، حتى نقل الإجماع على تحريمها في الجملة، على خلاف بينهم في الدف في الأعراس ونحو ذلك.

📜وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (576/11) :" ذَهَبَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ: أَنَّ آلَاتِ اللَّهْوِ كُلَّهَا حَرَامٌ ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ يَسْتَحِلُّ الْحَرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ يُمْسَخُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ . و " الْمَعَازِفُ " هِيَ الْمَلَاهِي كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَهْلُ اللُّغَةِ ". انتهى

حديث عمران بن حصين أن رسول الله -ﷺ- قال "يكونُ في أمَّتي قذفٌ، ومسخٌ، وخسفٌ. قيل: يا رسولَ اللهِ! ومتَى ذاك؟ قال: إذا ظهرَتِ المعازفُ، وكثُرتِ القِيانُ، وشُرِبت الخُمورُ". رواه الترمذي وصححه الألباني.

✉️وقد ثبت النص في تحريم المعازف، كما في حديث أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ" السلسلة الصحيحة

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله -ﷺ-: "صوتان ملعونان في الدُّنيا والآخرةِ: مِزمارٌ عند نعمةٍ، ورَنَّةٌ عند مصيبةٍ" صحيح الترغيب والترهيب

✉️والسلف رضي الله عنهم كانوا يطبقون هذا الحديث، وكانوا يعملون بأحاديثه ﷺ، وقد جاء في المعنى أحاديث مثل: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ". اتق الشبهات

📝الحلال يطمئن إليه القلب، والشبهة يضطرب لها القلب.

وقال الثوري رحمه الله :إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى.

قال أهل العلم: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس".

قال أبو الدرداء: "تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حرامًا، حجابًا بينه وبين الحرام".

قال الشاطبي –رحمه الله– وغيره من أن التوسع في المباحات يفضي به إلى الوقوع في المشتبهات، ومن ثَمّ المحرمات.

قال سفيان بن عيينة:" لا يصيب عبد حقيقة الإيمان؛ حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه".

وقال سفيان الثوري: "عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك".

"أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ"

ثم قال النبي –ﷺ–: أَلاَ أداة استفتاح، فائدتها: التنبيه على ما سيأتي.

"أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ": أي: إنَّ حِمَى اللهِ هي المعاصي الَّتي حرَّمها على عِبادِه، فمَن دخَلَ حِماهُ بارتكابِ شَيءٍ مِن المعاصي هلَكَ، ومَن قارَبَه بفِعلِ الشُّبهاتِ كان على خطَرٍ

⇦حمى الله محارمه –المحرمات التي حرمها–، فانظر إلى هذا المثل من النبي ﷺ ما أبلغه، وما أحسنه، وما أبينه، ﷺ.

ألاو إن حمى الله محارم الله، فإياك أن تقربها، لأن محارم الله كالأرض المحمية للملك لا يدخلها أحد.

الملوك والعظماء في الأرض اعتادوا – إظهارًا لعظمتهم – أن يتخذوا لأنفسهم أمكنة يحمونها، ويتوعدون من يرعى فيها، والله عز وجل له المثل الأعلى – ملك الملوك – له حِمًى يحميه، وحماه هو محارمه التي حرمها على الناس، وقد توعد من وقع فيها بالعذاب الشديد؛ فالأجدر بالناس ألا

يقاربوها خوف الوقوع فيها، فينزل بهم عذاب الله، وأن يتأدبوا مع الله، كما تتأدب الرعاة مع ملوكهم. للدكتور محمد بكار زكريا

❁أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ: هذه أيضاً جملة مؤكدة بـ (ألا)و(إنَّ)، والمعنى: ألا وإن في جسد الإنسان مضغة، أي قطعة لحم بقدر ما يمضغه الإنسان عند الأكل، وهي بمقدار الشيء الصغير.
❁إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ:

رتب النبي –ﷺ– الجزاء على الشرط، فمتى صلح القلب صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

والواجب العناية بالقلب أكثر من العناية بعمل الجوارح، لأن القلب عليه مدار الأعمال، والقلب هو الذي يُمتحن عليه الإنسان يوم القيامة، كما قال الله تعالى: (أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) [العاديات:9-10] وقال تعالى: (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) [الطارق:8-9]
إصلاح المضغة لها عند الله شأن عظيم فلن ينجو يوم القيامة إلا من أصلحها وطهرها قال تبارك وتعالى :(يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[الشعراء:88]

قال ابن القيم في الجواب الكافي عن شروط صلاح المضغة " القلب السليم: هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر، وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، ومن كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله.

ويكفي أن القلوب هي محل نظر الرحمن حتى نطهرها من كل ما يلوثها: كما جاء في الحديث عن رسول الله –ﷺ–: " إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم ". صحيح الجامع

والقلب هو ملك الأعضاء المتحكم فيها، وإليه يعود صلاح العمل وفساده، قال أبو هريرة رضي: " القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده".

وما أصاب الأُمةَ من الشرور والبلاء والبدع والمنكرات إلا بسبب أمراض القلوب، والذُّنُوبُ لِلْقَلْبِ بمَنْزِلَةِ السُّمُومِ، إِنْ لَمْ تُهْلِكْهُ أَضْعَفَتْهُ ولا بُدَّ، وإذا ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُقَاوَمَةِ الأَمْرَاضِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وفي الحديث ردٌّ على العصاة الذين إذا نهوا عن المعاصي قالوا: التقوى هاهنا وضرب أحدهم على صدره، فاستدل بحق على باطل، لأن الذي قال: "التَّقْوَى هَاهُنَا" هو النبي -ﷺ- ومعناه في الحديث: إذا اتقى ما هاهنا اتّقت الجوارح.

وتدبير أفعال الإنسان عائد إلى القلب، لقوله: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ.

وفيه إشارة إلى أن العقل في القلب، وأن المدبر هو القلب مع أن القرآن شاهد بهذا، قال الله تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج:46].

لذا كان نبيُّنا -ﷺ- يَحُثُّ على الاعتناءِ بالقلب أشدَّ العناية، ومن ذلك: "أن أكثرَ دُعائه -ﷺ- : "يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثبِّتْ قَلْبي على دِينِكَ، فقالت أُمُّ سلمة رضي الله عنها: يا رسُولَ اللهِ: ما لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثبِّتْ قَلْبي على دِينِكَ؟ قالَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ إنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إلاَّ وقَلْبُهُ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِن أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ". رواه الترمذي وحسَّنه.

نذكر بعض الأسباب المعينة على صلاح القلوب:

❶العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وكلما قوي إيمان العبد بحقيقة أسماء الله -جل وعلا- وصفاته كلما استقامت حاله، وصلُحت سريرته، وكان دائماً يقبل أوامر الله بالسمع والاستجابة لها، والنواهي بالبعد والترك عنها، فدائماً يقولون : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة:285]

❷تلاوةُ القرآن وتدبُّر معانيه، وتأمُّل ما فيه من أوامرَ ونَوَاهٍ، وما فيه من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، كل هذه تلِّين قلب العبد، وتُذهب عنه قسوته وشقاوته، (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] (محمد:24].

❸كثرة دعاء الله، والتضرع بين يديه ليحفظ قلبه من الانحراف عن طريق الهدى؛ ولذا ذكَر الله في دعاء المؤمنين :(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [آل عمران:8]، وكان -ﷺ- يكثر أن يقول" :اللهم مقلب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك"

❹تذكر الآخرة وأهوالها، والجنة ونعيمها، والنار وأهوالها، فكلما تذكر المسلم ذلك الوعد والوعيد وأهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الكربات والشدائد، كلما قوي الإيمان، ورقَّ القلب، وانقاد للخير.

❺الإكثارُ من ذكر الله، هذا مما يزيد قوَّة الإيمان في قلبك ورقّته ولينه فإن ذكر الله حياة القلوب، وطمأنينتها وسكينتها، فكلما أكثر العبد من ذكر الله كلما قوي إيمانه، (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:28]، وقال -جل وعلا- مبيناً عظيم الذكر :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً) [الأحزاب:41] قال تعالى:(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ][آل عمران:190-191]، ونبينا -ﷺ- كان يذكر الله على كل حينه، ويُعد له في المجلس الواحد: (رَبّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ، أكثر من مائة مرة)

❻ومن أسباب رقة قلب المسلم زيارة المريض، ومخالطة المريض، ومخالطة المساكين والفقراء، وذوي العاهات والمبتَلين، ونظر إلى أهل البلاء والعاهات، قوي إيمانه، وشكر الله على نعمته، فإن هذه النعم لا يعرفها إلا مَن فقدها أو شاهد من ابتُلوا بها ليعلم عظيم نعم الله عليه.

❼تذكُّر الموت، وشهود الجنائز، وزيارة المقابر، يقول -ﷺ-: " أكثِرُوا من ذكر هاذم اللّذّات"، يعني الموت، وجَعَلَ اتباع الجنازة من حق المسلم على المسلم، ففيها يلين قلبه، ويزهد بالدنيا، ويتفكر في هذا المكان الذي سيسكنه كما سكنه مَن قبله فيزداد رقةً في قلبه وإقبالاً على الله.

❽الصحبة الصالحة: إن معايشة الأخيار وصحبة الأبرار من أكبر الأسباب المعينة على إصلاح القلوب وثباتها، لما فيها من التعاون على الخير، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وشغل الوقت بما يقرب الإنسان إلى ربه ويعينه على نفسه؛ ولهذا أمر الله رسوله -ﷺ-بمعايشتهم وصحبتهم مع الصبر عليهم فيما قد يبدو منهم من تقصير في حقه أو أذى لشخصه فقال عز وجل: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) [الكهف:28] وقال -ﷺ-:" المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ ". السلسلة الصحيحة

ومن أصلح المضغة، وملئها بالإيمان، والتصديق بلقاء الله، وآمن بوعد الله بالجنة ونعيمها، لن يجد صعوبة بترك الحرام وترك المباح الذي يشغله عن الآخرة، فأكثر من يلقي الشبهات ويتلاعب بالنصوص هم أناس أحبوا أنفسهم والدنيا واتبعوا الشيطان.

ونذكر مثال لصحابي جليل نتعلم منه الثبات على الحق مهما كانت الظروف عبدالله بن حذافة السهمي :-فها هو يضرب أروع أمثلة العزة والثبات على دين الله حيث دفع هرقل عبد الله إلى أحد رجاله وأوصاه، أن يجيعه ، ثم يطعمه لحم خنزير، فأجاعه الرجل و كان كل يوم يأتيه بلحم خنزير فيضعه أمامه ليأكله، ولكن عبد الله كان يُعرض عنه، و يقول: هذا طعام لا يحل لنا أكله ، و مضت على ذلك أيامٌ حتى شارف على الهلاك، فأخبر الرجل هرقل بذلك ، فقال له : أطعمه ما يريد، ثم أعطشه، و أعطه خمراً ليشربها بدلاً من الماء ، ففعل الرجل ذلك لكن ما ظنكم بصاحب

رسول الله –ﷺ– أيُشمِت به الروم؟ كان يعرض عن الخمر ويقول: هذا شراب لا يحل لنا شربه حتى أوشك على الهلاك، فأخبر الرجل هرقل بذلك، وقال له: إن كانت لك في الرجل حاجة فأطعمه ما يريد ودعه يشرب ما يريد قبل أن يهلك فقال هرقل: دعه يأكل ويشرب ما يريد، إنني بلوته بالضراء وسأبلوه بالسراء، أرسلوا إليه أفخر الطعام والشراب والثياب و.... ففعل الرجل ذلك ... و لكن عبد الله ما كان يلتفت إلى شيء بل كان لا يأكل إلا قوتاً، و لا يشرب إلا كفافاً ، و لا يبدل ثوبه إلا إذا اتسخ، عند ذلك أرسل إليه هرقل و قال له :قد بلوتك بالضراء و بالسراء فصبرت ، فهل لك أن تقبّل رأسي و تنجو بنفسك؟ قال :لا ،لا أقبّل رأسك لأنجو بنفسي فقط . فقال له: فهل لك أن تقبّل رأسي وأدفع لك كل أسير من المسلمين عندي؟ قال: نعم. و قبّل عبد الله بن حذافة رضي الله تعالى عنه رأس هرقل، و دفع إليه هرقل جميع أسارى المسلمين الذين عنده (و كانوا ثمانين رجلاً) فعاد بهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... و عندما قصّ القصة على عمر قام و قبّل رأسه وقال: حقٌ على كل من رأى عبدالله أن يقبل رأسه، ثم قال له: يرحمك الله، ما منعك إذ بلغ بك الجهد ما بلغ أن تأكل لحم الخنزير، و أن تشرب الخمر ، فقال :و الله يا أمير المؤمنين ، لقد علمت أن ذلك موسّعاً لي فيه، و لكنني كرهت أن يشمت الروم و هرقل بالإسلام و أهله.